

التعددية اللغوية ودورها في فهم الفرد وانتشار المواطنة الدولية

يعد استخدام اللغة ودورها في التعبير عن الفرد من أحد الميزات التي تسمح لنا بأن نتواصل مع بعضنا البعض بشكل أفضل حيث تتيح اللغات الفرص للتعرف على ناس أكثر وفهم ثقافتهم وتؤدي إلى تقوية الصلة بين الناس. مع أنها مهمة، الكثير منا ينسى دور اللغة وضرورتها في حياتنا خصوصا عندما نتكلم عن كيف تشكل اللغة هوية الفرد ودورها في ثقافة المجتمع. عندما أفكر بفكرة المواطنة الدولية، أفكر في دورنا كأشخاص نساهم في أن نخلق عالم متطور ومتفهم وكيف أن اللغة لا تسمح لنا بأن نفهم بعضنا البعض فقط ولكن أيضا تعطي لنا الفرصة لفهم الآخر وهويته بشكل أفضل. لماذا تلعب اللغة دوراً مهماً في تطوير وانتشار المواطنة الدولية في عالمنا؟ لأنها تعبر وتشكل هويتنا وثقافتنا وبالإضافة إلى ذلك تسمح لنا بأن نرى الناس على حقيقتهم. اذا أرادنا أن نجعل العالم قائماً على المبادئ التي تعتمد على فكرة المواطنة الدولية فمن الضروري أن نحاول أن نتواصل مع الثقافات والحضارات الأخرى المختلفة عنا وأن نستخدم طرق مختلفة لفهمهم ، بالإضافة إلى أن نتقبل شخصياتهم واختلافاتنا بشكل حقيقي. كيف نحصل على ذلك؟ كطالبة للغة العربية، الحل هو أن نركز على أهمية ودور اللغة في خلق فرص التفاهم وتسخير أدوات جديدة لفهم الشعوب والثقافات المختلفة في الحين نفسه.

تجربتي مع اللغات و المواطنة العالمية بدأت عندما هاجرت مع عائلتي إلى الولايات المتحدة الأمريكية. ولدت في مدينة ميكسكوسيتي في المكسيك حيث سكنت هناك اثنا عشر سنة قبل هجرة عائلتي. أتذكر اليوم عندما قال لنا والدي إننا سنهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية. أتذكر خصوصا الخوف والغضب والقلق الذي شعرته ذلك اليوم. لم أكن أعرف أي شيء عن اللغة الانجليزية وبالإضافة إلى ذلك لم يكن عندي صورة جميلة أو جيدة عن الأمريكيين وأفكارهم عن المكسيكيين ولكن الآن بعد تجربتي في تعلم اللغة الانجليزية ووجودي في الولايات المتحدة الأمريكية، تغيرت نظرتي ولم أعد أملك نفس هذه المشاعر. عندما وصلنا إلى ولاية أوكلاهوما في سنة ٢٠٠٥، لم أحب أي شيء، لم أحب الأكل وخصوصا لم أحب أنني لم أفهم أي شيء عندما تكلم الناس معي في اللغة الانجليزية وذلك جعلني أشعر بالانزعاج و الانفصال عن المجتمع لفترة من الزمن. كنت أقضي معظم الوقت في غرفتي لأنني لم أكن قادرة أن أعبر عن نفسي عن طريق لغتي الأم. ولكن بعد وقت طويل من الانعزال، أجبرني والدي أن أخرج من المنزل وأن أتكلم مع جيرانا حيث كان لديهم بنات من عمري وأتذكر كيف كان من الصعب أن نتكلم أو أن نفهم بعضنا البعض، فكانت وجوه البنات تبدو حائرة عندما كنت أتكلم معهم في لغتي الانجليزية المحدودة. علمتني هذه التجربة أن الأشياء التي ستغيرك وستساعدك ليست هي الأشياء التي تعطيك شعور الراحة ولكن العكس الصحيح فالاشياء التي تمنحك ذلك هي الأشياء والخبرات التي تفرض عليك أن تنمو وتتعلم من التجارب الصعبة وترى العالم من وجهة نظر أخرى. من خلال ذلك أعتقد أن

للغة دور قوي في نمو الفرد وخلق الفهم بين الناس فأنا أجد أن هذا الشعور الغير مريح يلعب دوراً مهماً في خلق فكرة المواطنة الدولية من خلال التعددية اللغوية والتفاهم الثقافي.

الدرس الذي أريد إيصاله عن دور التعددية اللغوية في المواطنة الدولية هو الدرس الذي تعلمته في تجربتي مع اللغة الانجليزية واللغة العربية. أي فرد يبدأ في دراسة لغة جديدة وتعلم مفردات وتعبيرات بسيطة، سوف يجد أحياناً صعوبة في أن يعبر عن أفكاره وسوف يشعر بعدم الارتياح. ولكن هذا الشعور هو أمر طبيعي يشعر به أي شخص يحاول تعلم لغة جديدة، وما أود أن أقوله هنا إنه على الإنسان أن يحاول أن يتكلم باللغة الجديدة حتى وإن كان لا يفهم جزء كبير من المحادثة ويحاول أن يركز ليفهم الإنسان المتحدث باللغة الأم فبذلك يخلق لغة للتواصل والتعلم الأسرع واحترام أفكار بعضهم البعض أكثر. وأظن أن هذا الجزء في تعلم لغة جديدة هو جزء مهم لأنه يجعل الطالب يتحدى نفسه ويتغلب على صعوبات في تعلم أي لغة جديدة حيث تسمح للمتعلم أن يعبر هويته وأفكاره وثقافته لعدد أكبر من الناس.

فلماذا أتكلم عن هذا الشعور الغير المريح ودوره في التعددية اللغوية و التفاهم الدولي والمواطنة الدولية؟ لأنني أظن أنه ضروري في تطوير وانتشار فكرة المواطنة الدولية إلى كل الأماكن في عالمنا حيث وجوده في التعليم ودراسة التعددية اللغوية مهم لنمو الفرد وفي تحقيق أحلام كل إنسان واحتياجاته وآمله في مستقبل مشرق. فإذا أرادنا أن نخلق هذا المستقبل من اللازم أن نتقبل بعضنا البعض، ليس من خلال التشابه الذي يعطينا الشعور بالراحة فقط ، ولكن أيضا من خلال فهم اختلافات بعضنا البعض، فمن الضروري أن نرى ونتقبل الفرد الآخر بجميع اختلافاته لأن ذلك سوف يشكل القوة في مجتمعنا حيث يجعلنا أفراد متنوعين يخلقون هذا العالم الذي نعيش فيه اليوم. فاللغة هي أهم اداة حيث تعطينا هذه الفرصة لنحترم الأشخاص الآخرين أن نرى الاختلافات التي تشكلنا وأن نحترمها.

في الصيف الماضي، سافرت إلى الأردن حيث درست اللغة العربية وسكنت هناك شهرين. قررت السفر للأردن لأنني أهتم باللهجة الأردنية والثقافة العربية وأيضا بسبب حبي للفصحى وكل التحديات الموجودة فيها. اللغة العربية تحتوي على العديد من اللهجات المختلفة وتعلم هذه اللهجات كان المفتاح لفهم الهوية و الثقافة العربية بالنسبة لي. كان من الصعب أن أعبر عن نفسي بدون أن أستخدم الفصحى وعلى الرغم من أنني أرادت أن أتكلم الفصحى مع الأردنيين، دفعت بنفسي أن أتكلم باللهجة الأردنية التي أعطتني شعوراً بالقلق في البداية، حيث أنني لم أعرف الكثير منها وكنت أعرف أنني اذا استخدمت الفصحى من الممكن أن يفهمني الناس ولكنني لن أحصل على نفس السهولة في التعامل مع الآخرين. فقررت أن أجبر بنفسي على استخدام لهجة جديدة حيث قضيت الوقت مع أسرتي الأردنية وتكلمت معهم عن الكثير من المواضيع مثل السياسة والأكل والثقافة والأردن والأسرة إلخ...

من كل المواضيع التي تكلمنا عنها، تكلمنا أكثر عن المكسيك والثقافة المكسيكية خصوصا عندما تكلمت مع جدي الأردني الذي أصبحت قريبة منه أكثر من باقي أفراد أسرتي الأردنية. في الشهرين اللذين قضيتهما في الأردن، استيقظ جزء كبير من هويتي من خلال مخالطتي للناس هناك. بدأ هذا الشعور عندما بدأت أنا وجدي الأردني التكلم عن ثقافتنا وعن هويتنا كرجل أردني وبنات مكسيكية ووجدنا الكثير من التشابه بيننا ولكن أيضا وجدنا الكثير من الاختلافات التي تشكل هويتنا وأظن أن هذه الاختلافات هي التي دفعتنا أن نحترم بعضنا البعض وأن نرى هويتنا الحقيقية. الشيء المهم من تجربتي مع جدي الأردني هو أننا تكلمنا في اللغة العربية بدلا من استخدام مترجم أو استخدام اللغة الانجليزية حيث جعلنا هذا نشعر بالراحة خلال الحديث وما كان هذا أن يحدث اذا لم نتكلم باللغة العربية.

تجربتي من خلال حديثي مع جدي لم تكن دائما سهلة. كانت لهجتي الأردنية محدودة وهو حاول أن يفهمني وأن يستخدم الكلمات البسيطة خلال الحديث معي. هو كان صبورا معي وصحح نطقي وكلماتي كثيرا وذلك ساعد على خلق جو الاحترام بيننا. اذا كان هناك مكان في المحادثة لم نفهم بعضنا البعض فيه، حاولنا أن نستخدم طرق أخرى لإيصال أفكارنا ولم يكن ذلك سهلا أو مريحا دائما ولكننا تعلمنا معا واستطعنا أن نرى هوية واختلافات الآخر وكان ذلك أفضل شيء في استخدامي للغة غير لغتي الأم. سمحت لنا اللغة أن نعبر أنفسنا في مستويات مختلفة واستطعنا أن نرى بعضنا البعض في الشكل الذي خلق الاحترام بيننا وفي رأي أظن أن هذه التجربة تمثل دور اللغة في التفاهم الثقافي وخصوصا في المواطنة الدولية لأن اللغة تشجعنا على أن نفهم ونرى الاختلافات والتشابهات التي تشكل هويتنا وثقافتنا وبلداننا وهكذا نستطيع أن نتعلم وننمو مع بعضنا البعض.

تذكرني تجربتي في الأردن بالصيف الذي هاجرت فيه إلى الولايات المتحدة الامريكية، لو أنني قررت أن أقضي كل الصيف في غرفتي وانتظرت حتى بداية المدرسة لأقابل المكسيكيين الآخرين الذين يتكلمون نفس اللغة التي تشعرنى بالارتياح واستخدمت اللغة الانجليزية فقط عند الضرورة، لبقيت عندي نفس النظرة النمطية عن الامريكيين ولم أكن لأتعلم أي شيء من مهاجرتي وتجربتي في الولايات المتحدة الامريكية. من خلال تواصلتي مع الناس الآخرين باستخدام اللغة الإنجليزية وتعلم ثقافتهم، كنت قادرة على أن أغير رأيي عن البلد والناس الذين لم يتعاملوا معي بالكراهية أو العنف أو الخوف الذي كنت أنتظره منهم بسبب نظرتي المسبقة عنهم. بل لقيت العكس من الامريكيين حيث كانوا لطيفين ومحترمين ودائما ساعدوني عندما احتجت المساعدة لأنهم راوا أنني كنت أحاول أن أفهم لغتهم وأن أتعلم ثقافتهم وكيف أتواصل معهم. تجاربي في الولايات المتحدة الامريكية والأردن علمتي أهمية تعلم اللغات من أجل الحصول على فرص أكثر للتفاهم والتعايش مع الثقافات الأخرى وأعطتني الأدوات التي احتاجها للتعلم والنمو الفكري.

فما هو المواطن الدولي؟ وما دوره في العالم؟ المواطن الدولي هو الفرد الذي يقرر أن يكون بنفسه في مكان غير مريح، المكان الذي سيدفعه لرؤية الاختلافات التي تشكلنا وتجعلنا أنفسنا ويأخذ بأي فرصة لفهم الناس الآخرين من خلال استخدام اللغات المختلفة لأنه يعرف أنها اللغة وسيلة للتحدث والتفاهم أو أن استخدامها يشكل جزءاً كبيراً من هويتنا. إن تعلمنا للغات المختلفة واستخدامنا لها في التكلم مع الناس، الذين من الممكن أن لا نفهمهم أو لا نوافق مع أفكارهم، تعطينا الفرصة ليجاد مكان للفهم والاحترام المتبادل وتجعلنا قادرين على أن نرى اختلافاتنا وأن نحترمها. اللغة هي انعكاس لأنفسنا وهويتنا وثقافتنا الممتعة والفريدة والجميلة والتعددية اللغوية هي احدد أساسات المواطنة الدولية التي أصبح انتشارها وانتشار أفكارها ضرورياً في زماننا لكي نتمكن من أن نحصل على السلام في هذا العالم. ولكننا لن نتمكن من أن نحصل على السلام اذا لم نبدأ في أن نرى الفرد وهويته بشكل يخلق مستوى من الاحترام بيننا، وأنا واثقة أن التعددية اللغوية هي أدواتنا الاقوى في صنع ذلك.